

العثمانيون الجدد

أفكارهم الإصلاحية ودور نامق كمال في بلورتها

أ.م.د.محمد عصفور سلمان

كلية التربية_الاصمعي/ جامعة ديالى

ملخص

شكل العثمانيون الجدد النخبة المثقفة من المجتمع العثماني والذين تلقوا تعليمهم في المدارس الحديثة في الداخل أو في الدول الأوروبية. وكان أولئك المثقفون ، بشكل عام ، غير راضين عن الإصلاحات التي كانت تقوم بها الحكومة العثمانية لأنها لم تكن في نظرهم جذرية وقادرة على التغيير والقضاء على المساوئ الأساسية في الدولة العثمانية

ظهر العثمانيين الجدد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، واستطاعوا تشكيل التيار الأقوى بين المثقفين العثمانيين لمدة ليست بالقليلة وكانوا مؤيدين للسير باتجاه التحديث باستخدام التقنيات الغربية بشرط عدم الإفراط في التغريب والتخلي عن الحضارة المحلية.

وكان العثمانيون الجدد لا يجيدون استخدام العنف في التغيير بل عن طريق نشر آرائهم الفكرية في الصحف والتعبير عنها على المسرح ، وكانوا مرتبطين " بمهندسي التنظيمات " مصطفى رشيد باشا ومحمد فؤاد باشا وعلي باشا ثم بالأمير مصطفى فاضل.

ولقد نجح العثمانيون الجدد في التأثير في جزء من الرأي العام العثماني وتكوين قناعات وأفكار عامة معبدين بذلك الطريق أمام التجربة الدستورية في العام 1876 م ، وكان نامق كمال وإبراهيم شناسي انموذجاً للعثمانيين الجدد وقد جاءوا بأفكار جديدة ، وهما مربيان جيدان من خلال طروحاتهم الفكرية في مجالات متعددة كالتعليم ، والنظرة إلى المرأة ، وحب الوطن ، والنظام الدستوري والحريية والحقوق والواجبات.

تمهيد :

تطلبت التحولات التي مرت بها الدولة العثمانية إبان النصف الثاني من القرن التاسع عشر (١) ، وجود مثقفين من نوع جديد تتجاوز معارفهم الحدود التقليدية ، مثقفون يجيدون اللغات الأجنبية ، أو أحداها ، ويعرفون استخدام الآلة الحديثة والتعامل مع الاختراعات الجديدة ، المدنية منها والعسكرية ، ويبدعون في إيجاد حلول قانونية لمشاكل كثيرة استجبت في مجتمع متغير تخطى طابع القرون الوسطى نحو مجتمع أكثر تطوراً . كل ذلك وغيره استوجب اهتماماً خاصاً بالتعليم الحديث في الدولة العثمانية (٢) .

على هذا الأساس بدأت عملية إنشاء المدارس الحديثة مع تنامي الحاجة إليها ، وخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ازداد عدد المدارس في الدولة العثمانية بسرعة تتناسب مع عمق التغييرات التي شهدتها المجتمع العثماني. وجاء نظام المعارف العمومية في عام ١٨٦٩ ليعطي دفعا قويا للمؤسسات التعليمية في الدولة العثمانية (٣) . فبموجب هذا النظام تقرر فتح مدرسة ابتدائية واحدة في الأقل في كل حي وقرية، وتأسيس مدرسة رشدية (متوسطة) في كل قسبة تقطنها خمسمائة أسرة كحد أدنى ، وإقامة مدرسة إعدادية في كل قسبة تشتمل داخل ضواحيها على ألف أسرة (٤) . فازداد عدد المدارس الابتدائية ليصل الى ٢٨٦١٥ مدرسة عام ١٨٩٥ بعدما كان ١١٠٠٨ مدرسة في عام ١٨٦٧ (٥) ، وتضاعف عدد المدارس الرشدية والإعدادية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر بواقع ١٠٠٠% للأولى و ١٨٠٠% للثانية (٦) .

تجاوز التغيير إحداث مدارس جديدة وزيادة أعدادها الى تحديث المناهج الدراسية نفسها بما يتلاءم مع الأوضاع والاحتياجات الجديدة ، فعلى سبيل المثال تنوعت المناهج الدراسية للدراسة الإعدادية لتشمل اللغة الفرنسية ، الحساب ، الهندسة والجبر ، المتلثات ، علم الفلك ، علم الجغرافية ، التاريخ ، علم الطبيعة والكيمياء ، الميكانيك ، علاوة على العلوم الدينية ، واللغات التركية والعربية والفارسية ، والخط والرسم (٧) . وانشئت مدارس اهتمت بالتعليم العالي والتعليم المهني ، كما برز توجه الدولة العثمانية لإيفاد الطلاب للدراسة في الجامعات الأوروبية ، وانشأ العثمانيون من غير المسلمين مدارسهم الخاصة الحديثة (٨) ، كما أنشأت أيضا مؤسسات كبيرة في مجال التعليم العسكري الأولي والعالي (٩) . وكان للبعثات التبشيرية ، ولاسيما مدارسها ، دور ملموس في نشر التعليم الحديث بين مختلف عناصر الدولة العثمانية (١٠) .

كل تلك الروافد صبت في تكوين وبلورة الفئة المثقفة العثمانية ، وساهم في بلورتها احتكاك المثقفين العثمانيين بالمثقفين الغربيين بشكل مباشر وفعال بحكم وجود أعداد من المدرسين والخبراء الأجانب في المؤسسات التعليمية العثمانية ، علاوة على الأجنبية طبعا . كما كان هناك تماس بين الأجانب والمثقفين العثمانيين ، أسوة بغيرهم من سكان المدن ، بفعل وجود أعداد كبيرة من الأجانب في الدولة العثمانية فوفقا للإحصاء السكاني الرسمي للعام ١٨٩٣ وصل عددهم في الدولة

العثمانية الى ٢٣٥٩٨٣ شخصا تركزوا ، عموما ، في المراكز الحضرية الكبيرة ، لاسيما اسطنبول التي تركز فيها أكثر من نصف العدد (١١) .

أثر هذا التفاعل ، مع تطورات ملموسة في الجوانب الاقتصادية والثقافية والاجتماعية للمجتمع العثماني ، في أسلوب حياة المثقفين العثمانيين ، وازدادت وتنوعت احتياجاتهم لتبرز الصحافة مطلبا أساسيا وحاجة ملحة للفئة المثقفة العثمانية " الانتلجيسيا " . ويعود تاريخ أول صحيفة تركية في الدولة العثمانية الى ١٤ أيار ١٨٣٢ بصدر صحيفة (تقويم وقائع) ، وهي صحيفة رسمية تولت نشر القوانين والمراسيم الصادرة الى جانب الأحداث الرئيسية داخل الدولة العثمانية وخارجها . وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر صدر عدد كبير نسبيا ، من الصحف وصل عددها في اسطنبول فقط في عام ١٨٧٦ اثنتين وسبعين صحيفة ، ناهيك عن الصحف الصادرة في مدن أخرى من الدولة العثمانية (١٢) .

الى جانب الصحافة ظهر المسرح أواخر العقد الرابع وأوائل العقد الخامس من القرن التاسع عشر وكانت الأعمال المسرحية في البداية مأخوذة بالكامل عن أوروبا ، مما أسهم في تعرف الفئة المثقفة العثمانية على موضوعات الدراما البرجوازية (١٣) ، وشهد الثلث الأخير من القرن المذكور اتساعا ملموسا في حركة المسرح (١٤) .

ولتلبية الحاجة المتنامية لمثل تلك النتاجات في التعليم والصحافة والمسرح ، ولكتب كثيرة غيرها في مختلف المواضيع الأدبية والعلمية ، ازداد عدد المطابع ودور النشر لتشكل بواقعها الجديد إضافة نوعية لواقع الحياة العثمانية ، كما ازداد عدد الكتب المطبوعة بشكل ملحوظ ، فبعد أن كان المتوسط السنوي للكتب المنشورة خلال عهد السلطان عبد المجيد الأول (١٨٣٩-١٨٦١) حوالي ثلاثة وأربعين كتابا ، ارتفع في عهد السلطان عبد العزيز (١٨٦١-١٨٧٦) الى مئة وستة عشر كتابا ، والى مئتين وخمسة وثمانين كتابا زمن السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩) (١٥) .

وبذلك نلاحظ أن الدولة العثمانية مرت خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين بتغيرات جوهرية مست كل تفاصيل وتفرعات واقعها الاجتماعي، وبالضرورة انعكست كل تلك التحولات ، وبقوة ، على الحياة السياسية للدولة العثمانية ، وظهرت فئة عثمانية مثقفة تدعوا الى التغيير والتطور في الدولة على غرار ما هو موجود في الدول الغربية .

العثمانيون الجدد مرحلة التأسيس وبرنامجهم الإصلاحية :

تشكلت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وبالتحديد في حزيران ١٨٦٥ معارضة سياسية عرفت باسم (العثمانيون الجدد) Yeni Osmanliir أو (الشباب العثماني) Young Ottoman (١٦) ، الذين وصفهم فيروز أحمد بأنهم "

أول مجموعة ضغط شعبية إسلامية استهدفت إرغام الدولة على اخذ مصالحهم بنظر الاعتبار" (١٧).

وعلى ضوء ذلك يبرز عدد من التساؤلات عنهم : من هم هؤلاء العثمانيون الجدد؟ وما هي أصولهم وأفكارهم وتطلعاتهم؟ وما هو موقفهم من الحكومة العثمانية، ومن الباب العالي والسلطان؟ وما هي العوامل التي وحدت أولئك الأشخاص؟ وما هي تطلعاتهم؟ هل هو تسلّم السلطة، أم مطالبة الحكومة بالتغيير وتطبيق الحرية السياسية والشخصية؟

يشير العلاف بأن العثمانيين الجدد جماعة ظهوروا، في مكان ما على الخريطة الفكرية في الدولة العثمانية وهم برزوا بين جماعتين تمثلت الأولى بأنصار الأيدلوجيات الحديثة والذين أرادوا جلب الحداثة الغربية الى مجتمعاتهم، وتطبيق الأنموذج الغربي على كل جوانب الحياة، مستندين الى أسس فكرية واجتماعية وثقافية خارجة عن السلطة الدينية، تقابلها مجموعة محافظة، ظهرت لحد ما، رد فعل على حركة التحديث، واتهمت أنصارها بالانحراف عن حضارة العثمانيين وقيمهم وثقافتهم والتفريط بالإسلام وسنن الأجداد الأولين، وتمحور هؤلاء حول المؤسسات الدينية، وشكل طلاب المدارس الدينية الجانب الأكبر والأكثر فعالية ضمنهم، مستمدين تأثيرهم من الدين ومكانته في النفوس (١٨).

وفي ضوء تلك التساؤلات أيضا أشار شفيق جحا الى أن العثمانيين الجدد عموما، كانوا من موظفي الحكومة ومن أبناء الأسر البارزة في النخبة العثمانية تلقوا تعليمهم في المدارس العثمانية الحديثة أو أرسلوا للدراسة في الخارج، وكثيرا منهم سبق لهم العمل ضمن صفوف البيروقراطية، وكانوا على إلمام جيد بلغة أجنبية واحدة أو أكثر (١٩). وهو ما يظهر واضحا من خلال ملاحظة خلفية المجموعة المؤسسة المتكونة من ستة أشخاص أولهم محمد بيك الذي تلقى تعليمه في باريس، وعاد مشبعا بالإفكار الغربية، التي أثر من خلالها، بقوة، على اثنين من أصدقائه هما نوري بيك ورشاد بيك، والثلاثة كانوا يعملون في (مكتب الترجمة). وبرز بين أعضاء الجمعية الأديب والشاعر المعروف نامق كمال (٢٠)، والعضو الخامس هو آية الله بيك الذي ينتمي الى أسرة معروفة وحظي بتعليم استثنائي في جميع جوانبه، جامعا بين الثقافتين الشرقية والغربية، أما العضو السادس والأخير في المجموعة فهو رفيق بيك صاحب جريدة (المرأة) (٢١).

لقد أبدى جماعة العثمانيون الجدد إعجابهم بالحضارة الأوروبية مع تأكيدهم على المظاهر التقدمية للإسلام، إذ " حاولوا بمفاهيم إسلامية تبرير تبني المؤسسات الغربية، معتبرين ذلك التبرير عودة الى روح الإسلام الحقيقية، لا إدخال شيء جديد عليه، أما في الشؤون السياسية فكانوا ديمقراطيي النزعة، يعتقدون أن النظام البرلماني الحديث ليس سوى بعث لنظام الشورى الذي كان قائما في فجر الإسلام،

وأنة الضمانة الوحيدة للحرية ، وهذا ما أدى بهم الى الاصطدام بالحكومة التي انتقدوا طابعها الأوتوقراطي " (٢٢) . لكنهم أكدوا انتماءهم الى المجتمع العثماني (٢٣) .

كان أولئك المثقفون ، بشكل عام ، غير راضين عن الإصلاحات (٢٤) التي كانت تقوم بها الحكومة العثمانية لأنها لم تكن في نظرهم جذرية وقادرة على التغيير والقضاء على المساوى الأساسية التي كانوا يعتبرونها "علة العلل" (٢٥) .

وفي ستينيات القرن التاسع عشر نمت وتجسدت فكرة الإصلاح في حركة فكرية انكبت قبل كل شيء على معالجة المشاكل القائمة في الدولة العثمانية ، وأثارت استطرادات عن المسائل العامة في التفكير السياسي .. ما هو المجتمع الفاضل ؟ وما هي القاعدة التي يجب ان تهيمن على عملية الإصلاح ؟ وهل من الممكن استنباط هذه القاعدة من مبادئ الشريعة الإسلامية ؟ أم أنه من الضروري الالتجاء الى تعاليم أوربا الحديثة وسلوكها ؟ وهل هناك بالواقع تناقض بين الاثنين ؟

أخذت هذه الأسئلة تبرز في عقول بعض كتاب ومثقفي ذلك العصر الذين ، وان كانوا قد التزموا نوعا ما بحركة الإصلاح ، إلا أنهم كانوا بالوقت نفسه ، من أنصار التراث الإسلامي الراغبين في أن يثبتوا أن الإصلاح الحديث إنما تجيزه تعاليم الإسلام الاجتماعية ، لا بل تستوحيه (٢٦) .

لقد استطاع العثمانيون الجدد تشكيل التيار الأقوى بين المثقفين العثمانيين لمدة ليست بالقليلة من خلال استثمارهم الامتعاض الموجود بين العثمانيين ، ولا سيما المسلمين من الطابع العلماني التغريبي الجاد لعملية تحديث الدولة ، واستفادة المسيحيين من ذلك على وجه الخصوص . وشكل هذا الامتعاض ، على وفق رأي ماردين ، العمود الفقري للحركة (٢٧) .

أما جمال زكريا فقد وصف جماعة العثمانيين الجدد بكونها ليبرالية سياسيا ومحافظة دينيا (٢٨) ، وسعوا الى إيجاد مصادر إسلامية للأفكار المراد إدخالها للدولة العثمانية وإلباسها لباسا إسلاميا باستخدام تعابير دينية (٢٩) .

وعلى الرغم من ذلك فان العثمانيين الجدد باستثناء احترامهم المستمر والمتعمد للرموز الإسلامية ، كانوا ميالين نحو العصرية ونخبة التغريب ، ومؤيدين للسير باتجاه التحديث ، باستخدام التقنيات الغربية ، واعتراضهم كان منصبا على الإفراط في التغريب والتخلي عن الحضارة المحلية . ويبدو أن الإسلام عندهم ، كما أشار ، احد الباحثين ، " كان نظاما للحياة أكثر من كونه مسألة اعتقادية " (٣٠) .

في هذا المناخ من الأفكار الجديدة ، والصراع بين مفاهيم الإصلاح والتغريب والميول والمحافظه ، والفكرة العثمانية ، والبعث الإسلامي ، والنزعة القومية ولدت حركة العثمانيين الجدد . فوجدت النخبة العثمانية ، المشبعة بالفكر الغربي ان اختارت لنفسها المعترك الفكري وسيلة أساسية لإيجاد سبيل لإنقاذ الدولة العثمانية

وتغيير حالها على وفق تصور جديد في كل الميادين . وكان تأسيس الحركة يشير الى بداية إحساس الفئة المثقفة بقوتها الذاتية وحاجتها الى التعبير عن نفسها (٣١) .

وكان العثمانيون الجدد لا يجيدون استخدام العنف في التغيير ، بل عن طريق نشر آرائهم الفكرية في الصحف ، والتعبير عنها على المسرح . وكانوا مرتبطين بشكل أو آخر بـ " مهندسي التنظيمات " مصطفى رشيد باشا (٣٢) ومحمد فؤاد باشا (٣٣) وعالي باشا (٣٤) في البداية ثم بالأمر مصطفى فاضل (٣٥) عندما انتقلوا الى باريس (٣٦). وذلك ليمن هولاء جميعا بضرورة إجراء الإصلاحات في الدولة العثمانية .

وكانت المطالب الرئيسية لأولئك المثقفين تؤكد على الحرية السياسية وحق المواطنين في ممارستها ضمن حدود القوانين والشرائع ، إذ " صوروا الحرية على إنها هبة إلهية" (٣٧) ، مع التأكيد على أهمية الدستور الذي يجب أن يكون ضد كل نظام استبدادي وتسلط فردي سواء أكان ممثلاً بالسلطان أم بالصدر الأعظم والوزراء ، وإقامة حكم يفسح المجال أمام الشعب للمشاركة في تشريع القوانين وتحمل مسؤولية الحكم من خلال برلمان منتخب، والتحرر من السيطرة الأجنبية . وأكدوا على المظاهر التقدمية للإسلام (٣٨) .

وكان ما نادت به الفئة المثقفة العثمانية في طروحاتها بضرورة استبدال النظام الإداري العثماني المتوارث ببيروقراطية جديدة ومتعلمة تتلائم ومتطلبات الواقع الجديد للدولة العثمانية (٣٩) .

وكانت الصحافة هي التي جمعت العثمانيين الجدد المعارضين لسياسة السلطان عبد العزيز وأصبحت وسيلة للتعبير عن آرائهم وأفكارهم وموقفهم من السلطة العثمانية ، فصدرت صحيفة (المرأة) لصاحبها رفيق بيك وآية الله بيك وصحيفة (تطوير أفكار) ومحررها نامق كمال . وأصدر علي سوافي في مطلع عام ١٨٦٧ صحيفة (المخبر) (٤٠) . وبعد تقييد حرية الصحافة بسبب انتقاداتها لسياسة الحكومة العثمانية ومطالبة محرريها بالحكم الدستوري وإصلاح أحوال الدولة بدلاً من الحكم الاستبدادي، ثم تعطيل تلك الصحف وملاحقة محرريها ، فشعر أولئك الصحفيين أن الخطر أخذ يهددهم فغادروا البلاد قاصدين العاصمة الفرنسية باريس (٤١) .

وبعد انتقالهم الى باريس ، مارسوا نشاطهم السياسي ضد السلطان عبد العزيز وحكومته . وفي العاشر من آب ١٨٦٧ اجتمع كل من ضيا باشا (١٨٢٥-١٨٨٠) الذي عمل موظفا كبيرا في الهرم البيروقراطي قبل خلافة مع الصدر الأعظم عالي باشا ، ونامق كمال ، ونوري بيك ، وعلي سوافي (١٨٣٨-١٨٧٨) رئيس تحرير صحيفة (المخبر) ، ومحمد بيك ورشاد بيك ورفعت بيك وآغا افندي ومصطفى فاضل ، في منزل الأخير في باريس (٤٢) وقرروا تأسيس منظمة جديدة دعوها (جمعية الشباب العثمانيين) ، وكان الغرض تحقيق الإصلاح الداخلي في الدولة العثمانية على أساس المبادئ التي تضمنتها رسالة مصطفى فاضل للسلطان عبد

العزیز، والتي تطالب بالإصلاحات الضرورية في الدولة العثمانية لاسيما الإصلاح الدستوري^(٤٣) وخطت الجمعية بخطى وئيدة ولكن لم يزد عدد أعضائها عن مائتين وخمسة وأربعين عضوا^(٤٤).

كانت الصحافة المصدر الرئيس لنشر الآراء والطروحات الفكرية للمثقفين العثمانيين الشباب، فأصدرت الجماعة في التاسع والعشرين من حزيران ١٨٦٨ العدد الأول من صحيفة (الحرية) بإدارة نامق كمال وضيا باشا وبتأييد ضمني من مصطفى فاضل ورئيس تحريرها رفعت بيك^(٤٥).

عبرت الصحيفة عن اتجاه العثمانيين الأحرار، واحتوى العدد الأول على مقالين رئيسيين الأولى بعنوان (حب الوطن من الإيمان) وتحدثت عن الوطنية وتروج لفكرة (الوطنية العثمانية) والتأكيد على الانتماء الى المجتمع العثماني. أما المقال الثاني فهو بعنوان (وشاورهم في الأمر) ويركز على ضرورة قيام حكومة عثمانية دستورية مسؤولة أمام الشعب. واستمرت الجريدة في أعدادها اللاحقة تنشر مقالات تدور حول الفكرتين السابقتين^(٤٦)، أي الوطنية العثمانية والحكومة الدستورية. وفي عام ١٨٧١ انحلت الجمعية عندما سمحت السلطات العثمانية لزعماء الحركة بالعودة الى اسطنبول^(٤٧).

نجحت جمعية الشباب العثماني في التأثير في جزء من الرأي العام العثماني وتكوين قناعات وأفكار عامة معبدة بذلك الطريق أمام التجربة الدستورية التي بدأت من إعلان الدستور العثماني، فقد كان إعلان الدستور أعز أمانى العثمانيين، وقد تحقق ذلك في الثلاثين من أيار ١٨٧٦، إذ صدرت فتوى شيخ الإسلام بجواز عزل السلطان عبد العزيز وتنصيب مراد الخامس (٣٠ أيار ١٨٧٦-٣١ اب ١٨٧٦) سلطانا بدلا عنه، الذي عزل بعد ثلاثة أشهر لاختلال في عقله. وفي الحادي والثلاثين من آب نصب عبد الحميد الثاني بن السلطان عبد المجيد سلطانا للدولة العثمانية^(٤٨).

وقد عمل العثمانيون الجدد على تولية الأمير عبد الحميد سلطانا على الدولة العثمانية بعد أن اشترطوا عليه إصدار الدستور^(٤٩) والعمل به. وأحاطوه بمستشارين أشهرهم نامق كمال، واعتقدوا إنهم يستطيعون أن يجعلوا عبد الحميد " خليفة يملك ولا يحكم " ^(٥٠).

من خلال هذه المعلومات نلاحظ أن العثمانيين الجدد تمكنوا من إجراء تغييرات على الخارطة السياسية والفكرية للدولة العثمانية، وكان قد برز منهم نامق كمال " الكاتب الأكثر تمثيلا للتنظيمات والأكثر موهبة والأكثر إنتاجا(٥١)، وإبراهيم شناسي^(٥٢) الذي تصدر السجال السياسي والأدبي بين الجماعة " ^(٥٣).

إبراهيم شناسي ونامق كمال أنموذجا للعثمانيين الجدد

كان ما يحسب للعثمانيين الجدد نجاحهم في تعبئة جزء من الراي العام لحساب الأفكار الجديدة ، التي جاؤا بها ، في الحرية الفردية والسياسية وحب الوطن والمساواة في الحقوق والواجبات ، وضرورة استبدال النظام الإداري العثماني . ومن الواضح أنه لا إبراهيم شناسي ولا نامق كمال كانوا سياسيين محنكين لكنهم تمكنوا من أن يكونوا مربيين جيدين^(٥٤) من خلال طروحاتهم الفكرية في مجالات متعددة كالتعليم والنظرة الى المرأة وحب الوطن والحرية والنظام الدستوري والحقوق والواجبات .

إن أسلوب طرح نامق كمال ، جملة وتفصيلا ، كان جديدا على الفكر العثماني ، جديدا في تقديمه نظرية تعطي الأولوية للدستور والحرية ، وفي تأكيده سيادة الشعب وضرورة فصل السلطات ، وفي تبيانه لوجود حقوق طبيعية للإنسان خارج الأطر الدينية ، وهذا يبين أنه كان متأثر كثيرا بنظرية العقد الاجتماعي لـ (جان جاك روسو) المفكر الفرنسي^(٥٥) .

وربما كانت الحرية من بين أكثر الأفكار بروزا ضمن الفكر السياسي العثماني ، وأقوى المفردات تغيرا في المعنى والمدلول . ولقد كان استخدام مفردات الحرية بمعنى سياسي والتطرق لمفهوم تحديد صلاحيات السلطان نقله بحد ذاتها. لقد أضحت الحرية بين مثقفي الدولة العثمانية مطلبا أساسيا لتحقيق الرقي والتقدم والسعادة .

كان نامق كمال هو من أنضج فكرة الحرية وأعطاهها بعدا سياسيا وعمقا وطنيا ، وبرز بوصفه مدافعا متحمسا عنها من خلال تغنيه بها في أدبه ، وبرزت بين كتاباته قصيدة مشهورة جاشت بالعاطفة حملت اسم الحرية ، وصفت بأنها " شعار لكل عصر ، وبيان ثوري لهذه الفكرة " ^(٥٦) ، حتى أن أحدهم عدّ نامق كمال بأنه " رسول الحرية في تركيا " ^(٥٧) . ولقد تمتعت كتابات نامق كمال بتأثير كبير ومتميز بين صفوف الطلبة والشباب^(٥٨) .

برز نامق كمال على نحو خاص بوصفه متحمسا لفكرة الحرية ، من خلال تبنيه لأحد المبادئ العظيمة لإعلان حقوق الإنسان . وكان أول من اتجه بين مثقفي جيله الى تأكيد أن الإنسان يولد حرا ، وأن هذه الحرية " ضرورية للماء والهواء " ^(٥٩) . ولم يتردد في الإعلان صراحة وبشكل أكثر وضوحا " ان حق وواجب الإنسان لا أن يحيا فحسب ، بل أن يحيا حرا " ^(٦٠) . ويعتبر ان الحرية " هبة من الله " ^(٦١) .

وفي السياق نفسه أكد نامق كمال أن لكل إنسان امتياز في امتلاك أفكار ومعتقدات وأن يعبر عنها ، وأن من واجبه أن يعمل على تنقية أفكاره ، وتخليص معتقداته من كل تعصب وخرافة^(٦٢) . وذلك ما أكده زميله إبراهيم شناسي عندما أشار الى أن لكل إنسان الحق في التعبير عن أفكاره ، بل وعد ذلك بمثابة التزام من كل شخص اتجاه مجتمعه^(٦٣) .

وكان جانب من فلسفة نامق كمال دار حول تعزيز فكرة الوطن ، وقد انعكست هذه الحالة بين كتابات الأدباء والمثقفين العثمانيين الذين وجدوا في خلق الشعور الوطني سبيلا كفيلا للحفاظ على سلامة الدولة العثمانية ووحدها ، فعملوا على استخدام كلمة وطن بمدلول سياسي جديد امتد ليشمل الدولة العثمانية إجمالا .

ويعرف نامق كمال الوطن على أنه قيمة عليا يدين له كل العثمانيين بالولاء والإخلاص ، وحبه هبة إلهية ، وشعور طبيعي بسيط . فالإنسان يحب وطنه بشعور هو عين الشعور الذي " يحب به الرضيع مهده ، والطفل ملعبه ، والشاب مكانا يرزق فيه والشيخ ركن فراغه وراحته ، والولد والدته ، والوالد عياله " (٦٤).

وبصورة معبرة عرض نامق كمال فكرة الموت من أجل الوطن من خلال عدة أعمال ، أبرزها مسرحيته الوطن أو (سلستره) التي عرضت أول مرة عام ١٨٧٢ ، ولاقت رواجاً وإقبالا واسعا حتى في زمن السلطان (الخليفة) عبد المجيد الثاني (١٩٢٢-١٩٢٤) . رغم حظر هذا العمل ، إذ أعلن نامق كمال على لسان بطل مسرحيته المستوحاة من أحداث حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦) ، " أن الدولة قد أعلنت الحرب والعدو على الحدود يحاول أن يطأ بقدميه الأرض وعظام الآباء والأجداد والشهداء الذين ضحوا بحياتهم لأجل الوطن " . كيف يمكن لرجل أن يعيش وهو يرى أمه تحت الأقدام أو أن يعيش وهو يشاهد ولي نعمته تحت أقدام المهانة دون أن يحرك ساكنا " أنا ذاهب للقتال . وقد عقدت العزم أن أموت " ف " لماذا خلقت إن لم يكن لأجل الموت في سبيل الوطن " (٦٥) . وقد أشار إبراهيم شناسي أيضا إنني " أريد أن أضحي بنفسي في سبيل ديني ووطني وملتي " (٦٦).

وبذلك تبقى الوطنية مسألة إحساس بالانتماء ، ولقد حاول نامق كمال الاستفادة من المنجزات التاريخية لتعزيز فكرة الوطنية فمن خلال بعض مسرحياته التاريخية مجد بها مآثر الرموز التاريخية الإسلامية العثمانية مثل السلطانين محمد الثاني (الفتح) وسليم الأول ، فأضفى على أبطاله مفاهيم سياسية لا تقبل التصديق قبل الوقت الذي كتب فيه . وكان الأهم من هذا هو سعيه لتعزيز الولاء للدولة العثمانية من خلال مفهوم الوطن (٦٧) مطالبا الجميع بالتضحية بمصالحهم الفردية لأجل المجتمع الأكبر (الوطن) (٦٨) .

ولقد مجد نامق كمال الدولة العثمانية بقوله " وإذا الوطن احتقر ، فلا تظن أن ذلك يقلل من شأنه ، " فان الجوهرة لا تفقد قيمتها لو تهاوت على الأرض " (٦٩).

وفي مجال الحقوق والواجبات أكد نامق كمال مبدأ المساواة في الحقوق والواجبات لكل أبناء الدولة العثمانية واصفا إياها ، كما حلم بها أن تكون المساواة أخذت طريقها ، كل فرد يتسابق مع غيره للتفوق في شتى المجالات ومختلف الميادين . مادام الله (جل جلاله) خلق الكل سواسية في الحصول على سعادة الدنيا والآخرة فالكل متساوون في حقوقهم السياسية التي يعد إقرارها ، وضمان العدالة من بين أولى مهام الحكومة (٧٠) .

وضمن الموقف من الأنظمة السياسية حاول نامق كمال إيجاد الشكل الذي يمكن تطبيقه في الدولة العثمانية . ورغم تأثره أسوة بغيره من المثقفين العثمانيين ، بالأنموذج الفرنسي فكرا وثقافة وسياسة (٧١) ، فقد وجد أن التجربة الدستورية الفرنسية لا تعطي القدر الكافي من الحرية . ومن جهة نظر إن العثمانيين أهل لأن " يحكموا على وفق دستور أكثر ليبرالية من الدستور الفرنسي " (٧٢) .

بالمقابل أبدى نامق كمال إعجابه بكل ما خص النظام السياسي البريطاني لاسيما البرلمان ، فبريطانيا تمثل " مهد أكثر المبادئ السياسية التي شهدها العالم والتجسيد القوي لفعالية الرأي العام الذي لا يقهر في وجه السلطة " (٧٣) ولذلك يرى نامق كمال أن هذا النظام السياسي هو السبب في كل تقدم حققته بريطانيا حتى غدت أنموذجا للعالم ، وهو الكفيل بإنقاذ الدولة العثمانية من الهلاك (٧٤) .

ووضح نامق كمال أن فكرة تكوين المجتمعات السياسية كان نتيجة لاقتناع الناس بحاجتهم إليها لحماية أنفسهم من أذى بعضهم البعض ، أي أن وجود الدولة في الوضع الطبيعي اعتمد على رضا مواطنيها الذين منحهم الطبيعة حقوقا ثابتة تتركز بمهمة الدولة في الحفاظ عليها من خلال تزويدها بالسلطات الضرورية اللازمة لتحقيق تلك الغاية . أما حق السيادة فيعود للجميع ، ولا توجد سيادة خارجة عن الناس ، ولا إرادة تلوا إرادتهم . وبحكم عدم إمكانية ممارسة حق السيادة من الجميع حتمت الضرورة تفويض مجموعة تنوب عن البقية في تولي أمور الحكم . هذا التفويض يمكن أن يكون بطرائق مختلفة ، وأفضل أشكال الحكومة في رأي نامق كمال ، هي الأقل تهديدا لحرية الفرد ، وضمان الحقوق الشخصية وحقوقه السياسية ، تأمين الأول من خلال تأسيس المحاكم المختصة والنزيهة ، فيما يعتمد ضمان الثانية على فصل السلطات وتأسيس حكومة تمثيلية (٧٥) .

ودعا نامق كمال الى فصل صارم بين السلطات والى تدشين نظام حكم دستوري في الدولة العثمانية قادر على أن يتيح للمجتمع العثماني إمكانية التعبير عن تطلعاته ، ومستمدا من المؤسسات الإسلامية " مفهوم الشورى " (٧٦) .

وفي المجال الاقتصادي كان تطور الأفكار الاقتصادية في الدولة العثمانية بشكل متناسب طرديا مع حجم التغيرات الاقتصادية فيها ، وتبنى العديد من مثقفيها مبدأ الحرية الاقتصادية ، مؤمنين بأنه السبيل الأمثل للنهوض بالواقع الاقتصادي للدولة . فأكد إبراهيم شناسي على مبدأ حرية المبادرة . مشيرا الى أنه ما دام هناك قوانين تسيير الطبيعة ، فلا بد من وجود قوانين تتحكم بالاقتصاد ، مؤكدا على أهمية الملكية الخاصة وتكوين الرأسمال (٧٧) .

ولقد تحول ضغط الوضع الاقتصادي بين الواقع والطموح الى محور أساس في معالجة المثقفين العثمانيين ، فكتب نامق كمال أنه " سابقا كنا مكتفين ذاتيا بزراعتنا وصناعتنا ، أنوال النسيج تغطي كل حاجتنا إلا أنه في غضون عشرين أو ثلاثين سنة انهار كل ذلك تقريبا . وما من شك أن السبب يكمن في حرية التجارة الممنوحة

للأجانب من خلال المعاهدات السيئة الصيت " (٧٨) ، وانتقد نامق كمال الواقع الاقتصادي إجمالاً مع التركيز على ظواهر محددة بعينها أبرزها سيطرة العناصر المسيحية على النشاط الاقتصادي والوضع المالي الذي منحه إياهم الامتيازات الأجنبية (٧٩).

وطالب نامق كمال بضرورة إنشاء شركات وبنوك إسلامية ودعم حماية التجار المسلمين ، وإعادة تنظيم الحياة الاقتصادية بشكل عقلاني ، وحماية ممتلكات الدولة العثمانية ، وإصدار قوانين تنظيمية عاجلة معلا كثيرا من مشاكل الدولة الاقتصادية بضعف الهيكلية الإدارية ، زيادة على السياسية ، وعدم إيعاز ضعف الدولة للتدخل الأجنبي (٨٠).

وفي مجال المقارنة بين أوضاع الدولة العثمانية ووضع دول أوروبا ، فقد أشار نامق كمال الى أن ما شاهده في العالم الغربي من تقدم ، وما هو قائم في الدولة العثمانية من تأخر. طارحا التساؤل : بأي وسيلة يمكننا اللحاق بمعدل السرعة الذي كشفت عنه أوروبا في مسيرتها الحضارية ؟ وتمثل الجواب عند عدد من المثقفين العثمانيين باكتساب العلوم وإتباع سبل الحضارة الحديثة فهما الأساس (٨١) ، إذ أنه لا يمكن تحقيق ازدهار الدولة العثمانية وتقدمها إلا من خلال العلم . فأصبحت هناك قناعة لدى المثقفين العثمانيين بأهمية العلم في إحداث تغييرات في الحياة الفكرية بعيدا عن الحجج الدينية القديمة .

وقد سعى العثمانيون الجدد ، من خلال استيعابهم لمبادئ الفلسفة الغربية وتكيفها مع الإسلام ، الى سد الفجوة بين المجموعة المؤيدة للتغريب والمجموعة المعارضة له . واقتنعوا بأن طرح أفكارهم المستوحاة من الفكر الغربي بتعابير إسلامية من شأنه أن يجعلها أكثر قبولا في مجتمع أغلبية مسلمة (٨٢) ، وهو ما أشار إليه نامق كمال في إحدى رسائله عن سياسة الحركة إزاء التغريب " لقد كتبت سابقا بأننا سوف نتقبل أي نوع من التقدم الذي تحققه أوروبا . رغم أننا يجب أن لا نكون أوروبيين بأي حال من الأحوال . ولأن الجميع يتحاشى تقليد الأوروبيين ، فعلى مواجهة المعارضة والمشاكل التي لا تنتهي " (٨٣) .

وكان موضوع النخاسة من الأمور التي حظيت باهتمام نامق كمال لاسيما من خلال الأعمال الروائية التي أدانت الرق إجمالاً ، مع تركيز خاص على موضوع رق الإناث ، واستهل هذا الاتجاه نامق كمال في رواية له بعنوان (انتباه) يعود تاريخها الى عام ١٨٧٦ ، فأبدى فيها ، على لسان بطل الرواية علي بيك ، اشمئزازه من رق الإناث ورفضه له (٨٤) . وفي نفس الاتجاه وبفكر أكثر تقدمية آمن إبراهيم شناسي بأن تحرير المرأة أمر ملازم للرق الحضاري ، وظهرت بداياته في مسرحية كوميدية له بعنوان (زواج شاعر) والمكتوبة عام ١٨٦٠ انتقد فيها شناسي ترتيبات الزواج التقليدي ورأى فيها سمسة للإناث ومأساة تثير الضحك (٨٥) .

وبعين الناقد نفسها تعرض نامق كمال في الكثير من أعماله للوضع المأساوي للمرأة داخل الأسرة . وفي مقالة له بعنوان (العائلة) أعرب عن رفضه للأوجه الجائرة واللامنطقية في الزواج والحياة الأسرية وأوضاع المرأة في المجتمع عموما^(٨٦) . وكانت المطالبة بتعليم الإناث جزءا من دعوى أوسع أكدت ضرورة التعليم الحديث بين كل العثمانيين ، ونشر المعارف من بين أبرز ما نادى به إبراهيم شناسي^(٨٧) . فقد احتل الموضوع حيزا كبيرا في كتابات نامق كمال مطالبا الحكومة العثمانية باتخاذ دور قيادي في تحقيقه^(٨٨) ، ليساهم جميع العثمانيين ، بما فيهم الإناث ، في تطور الدولة العثمانية وتقدمها وبما يتناسب ، على الأقل ، مع التطور الحاصل في المجتمعات الأوروبية .

Abstract

The New Ottmans

Their reform ideas and Namiq Kamel's Role in the Crystallization of these Ideas

The new Ottmans constitute the intellectual elite of Ottoman Society , those who acquired their education in the recent modern schools in doors or abroad . Generally speaking those intellectuals were unsatisfied with those reforms performed by Ottoman government because according to their views these reforms were not deep rooted and unable to irradiate the main Ottoman misdeeds .

The new Ottoman appeared in the second half of the 19th century and were able to formulate the strongest trend among Ottoman intellectuals they were all modernization pros by adopting western technics on the condition of not going too far in westernization and abandoning local civilization .

The new Ottmans were unable to use violence to impose changes but they were able to publish their intellectual attitude through media (Journals) and they were able to express these attitudes on stage . They

were connected to organization " engineering " Mostafa Rasheed pasha, and eventually to the prince Mostafa Fadhil .

The new Ottmans succeeded in acquiring the approval of part of the Ottman public and forming new ideas and thoughts towards the constitutional experiments in 1876 .

Kamal Namiq and shanasi Ibrahim were example of new Ottmans who brought new trends in thinking and they were good educators through their intellectual opinion in Various aspects of life like education , women , patriotism , constitudional system , liberty ,rights and duties .

الهوامش

١. ظهرت بوادر التغيير في أوضاع الدولة العثمانية الاجتماعية والاقتصادية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، بعد حركة الإصلاحات والتنظيمات في الولايات العثمانية والتطور الحاصل للأوضاع العامة للدولة . كما إن موقع الدولة العثمانية وسط القارات الثلاث وامتداد أراضيها في أوروبا واسيا وإفريقيا ، جعل اندماج الدولة العثمانية بالاقتصاد الرأسمالي لابد منه . فانتسح حجم تجارة الدولة مع الدول الأوروبية . فقد ارتفع مجمل تلك التجارة من ١٢ مليون دولار عام ١٨٤٥ الى ٥٤ مليون دولار عام ١٨٧٦ ، وتطورت وسائل النقل البرية والبحرية والخدمات البريدية كما تأسست بعض المصانع لتلبية احتياجات المواطن العثماني ، ونمت الطبقة العاملة فضلا عن البرجوازية العثمانية .

للمزيد من المعلومات يراجع : ز . ي . هرشلاغ ، مدخل الى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الأوسط ، ترجمة مصطفى الحسني ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٣٩-١٠٤ ، مباحث كوتوك اوغلي ، البنية الاقتصادية في الدولة العثمانية " الدولة العثمانية تاريخ وحضارة " ، إشراف أكمل الدين إحسان اوغلي ، ترجمة صالح سعداوي ، ج ١ ، استانبول ١٩٩٩ ، ص ٧٨٦-٨١٧ .

٢. أكمل الدين إحسان اوغلي ، الحياة التعليمية والعلمية وأدبيات العلوم عند العثمانيين " الدولة العثمانية تاريخ وحضارة " ج ٢ ، استانبول ١٩٩٩ ، ص ٥٣٩ .

٣. حسن أ . كوجر ، ولادة التعليم الحديث في تركيا وتطوره (١٧٧٣-١٩٢٣) اسطنبول ، د. ت ، ص ٩٨ .

٤. محمد عصفور سلمان ، حركة الإصلاح في الدولة العثمانية وأثرها في المشرق العربي ١٨٣٩-١٩٠٨ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٥ ص ٦١-٦٤ .

٥. S.J. Shaw and E.K. Shaw, History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, Vol. 11, New York, 1977, p.112.

٦. Ibid .

٧. أكمل الدين إحسان اوغلي ، المصدر السابق ، ص ٥٤٠-٥٤١ .

٨. للمزيد من المعلومات يراجع : إسماعيل نوري حميدي الدوري ، حركة التحديث في تركيا ١٩٢٣-١٩٣٨ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية – ابن رشد ، ١٩٨٩ .

٩. للمزيد من المعلومات يراجع : أميرة محمد كامل الخربوطلي ، الدور السياسي للعسكريين في تركيا ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، القاهرة ١٩٧٢ .

١٠. فرانسوا جورجو ، النزاع الأخير ١٨٧٨-١٩٠٨ " تاريخ الدولة العثمانية " إشراف روبرمانتران ، ترجمة بشير السباعي ، ج ٢ ، القاهرة ١٩٩٣ ، ص ١٨٥-١٨٦ .

Kamal H. Karpat, Ottoman Population Records.11 and the census of 1881 / 1882-1893, "International Journal of Middle East Studies". Vol,9,Great Britain, August 1970 ,p 274

١٢. للمزيد من المعلومات يراجع : فيليب دي طرازي ، تاريخ الصحافة العربية ، أربعة أجزاء ، بيروت ١٩١٣ .

١٣. بول دومون ، فترة التنظيمات ١٨٣٩-١٨٧٨ ، " تاريخ الدولة العثمانية " إشراف روبرمانتران ، ترجمة بشير السباعي ، ج ٢ ، القاهرة ١٩٩٣ ، ص ٧٢ .

١٤. هدايت كمال بدري ، الأدب التركي في فترة التنظيمات ١٨٦٠- ١٨٩٦ ، " مجلة آفاق عربية ، العدد الرابع ، نيسان ١٩٨٦ " ، ص ٧٦ .

١٥. فرانسوا جورجو ، المصدر السابق ، ص ٢٠٩ .

١٦. أحمد عبد الرحيم مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص ٢٢٦ .

١٧. فيروز أحمد ، صنع تركيا الحديثة ، ترجمة د. سليم داود الواسطي وحدي حميد الدوري ، بغداد ٢٠٠٠ ، ص ٧١ .

١٨. إبراهيم خليل العلاف ، الجذور التاريخية للعلمانية في تركيا المعاصرة ، " مجلة شؤون اجتماعية " العدد ٦٠ ، قطر ، شتاء ١٩٩٨ ، ص ١١ .

١٩. شفيق جحا ، التنظيمات او حركة الإصلاح في الإمبراطورية العثمانية ١٨٥٦-١٨٧٦ " مجلة الأبحاث ، السنة ١٨ ، ج ٢ ، بيروت ، حزيران ١٩٦٥ ، ص ١١٧-١٢١ .

٢٠. نامق كمال (١٨٤٠-١٨٨٨): ولد في عائلة ارسنقراطية وتأثر بإبراهيم شناسي ، تولى إدارة تحرير صحيفة (تصوير أفكار) هاجر الى أوروبا بعد تضيق سلطنة عبد العزيز الخناق على المجلة عام ١٨٦٧ ، وعاش في المهجر ، لندن ، باريس ، فيينا ، ثلاث سنوات . درس القانون والاقتصاد ، ونشر مقالات معارضة للسلطة العثمانية . ترجم للعثمانية بعض المؤلفات الفرنسية . عاد الى اسطنبول عام ١٨٧١ ، وواصل نشاطه السابق . عرض عام ١٨٧٣ مسرحية بعنوان " وطن " كانت سببا في اعتقاله ونفيه الى جزيرة قبرص مدة ثلاث سنوات (١٨٧٣-١٨٧٦) . وعندما خلع عبد العزيز عن السلطة سمح له بالعودة الى اسطنبول فساهم في صياغة دستور ١٨٧٦ ، ولكن كان من نتائج انقلاب السلطان عبد الحميد الثاني على الدستور امتحان هذا العثماني الفتى من جديد ففضى بقية حياته أما في الاعتقال أو النفي . ألف روايات تاريخية وترجم بعض مؤلفات روسو ومنتسكيو وباكون وفولني وكوند وروسية الى التركية العثمانية .

للمزيد من المعلومات يراجع : حكمت ديزدار اوغلو ، حياة نامق كمال ومؤلفاته الشعرية ، اسطنبول ١٩٦٨ .

٢١. أحمد عبد الرحيم مصطفى ، المصدر السابق ، ص ٢٢٦ ، شفيق جحا ، المصدر السابق ، ص ١٢١ .

٢٢. ألبرت حوراني ، الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨-١٩٣٩ ، ترجمة كريم عزقول ، ط٣ ، بيروت ١٩٧٧ ، ص ٩٠ .

٢٣. المصدر نفسه ، ص ٩١ .

٢٤. للمزيد من المعلومات عن الإصلاحات يراجع :

Roderic H. Davison ,Reform in the ottoman Empire 1856-1876, , 1963 , prineoton University press, New Jersey , شفيق جحا ، المصدر السابق ، محمد عصفور سلمان ، المصدر السابق .

٢٥. شفيق جحا ، المصدر السابق ، ص ١١٧ .

٢٦. البرت حوراني ، المصدر السابق ، ص ٩٣ .

Serif Mardin, The Genesis of young Ottoman Thought , New York ,1985, p2o .

٢٨. جمال زكريا قاسم ، الخروج العربي عن الدولة العثمانية " العلاقات العربية التركية من المنظورين العربي والتركي " إشراف أكمل الدين إحسان أوغلي ومحمد صفي الدين ابو العز " بيروت ١٩٩٣ ، ص ١٧٤ .

٢٩. اورخان اوقاي ، الحياة الفكرية خلال عهد التغريب " الدولة العثمانية تاريخ وحضارة " إشراف أكمل الدين إحسان اوغلي ، ترجمة صالح سعداوي ، ج ١ ، اسطنبول ١٩٩٩ ، ص ٢٧١ .

٣٠. المصدر نفسه ، ص ٢٨٣ .

٣١. رجب حراز ، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ١٨٤٠-١٩٠٩ ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٤٨ .

٣٢. مصطفى رشيد باشا (١٨٠٠-١٨٥٨) : ولد في اسطنبول ، ودرس العلوم الدينية . أصبح أمينا للباب العالي ، شغل منصب السكرتير الأول لإدارة الشؤون الداخلية والخارجية للدولة العثمانية ، ثم سفيرا لبلاده في باريس عام ١٨٣٤ ولندن . وفي عام ١٨٣٧ أصبح وزيرا للخارجية ثم صدرا أعظم عام ١٨٤٦ . وخلال حياته تولى المنصب الأخير خمس مرات ، واعتبر مهندس مرسوم خط كلخانة الإصلاح عام ١٨٣٩ " و " أب التنظيمات " وأدى دورا ملموسا في حركة الإصلاح في الدولة العثمانية . بول دومون ، المصدر السابق ، ص ٦٧-٦٨ .

٣٣. محمد فؤاد باشا (١٨١٥-١٨٦٩) ولد في اسطنبول منحدرا من أسرة من العلماء . درس في المدارس الأجنبية في اسطنبول ، وله معرفة تامة باللغة الانكليزية واللغة الفرنسية. عين كاتباً أول بالسفارة العثمانية في لندن ثم سفيرا في بترسبورغ . تقلد منصب وزير الخارجية أربع مرات ثم صدرا أعظم خلال السنوات ١٨٦١-١٨٦٣ ، وعضوا في المجلس العالي للتنظيمات فرئيسا له خلال السنوات ١٨٥٦-١٨٥٨ . واصل خلال حياته المشاركة في وضع سياسة لحركة الإصلاح في الدولة العثمانية حتى وفاته ، ويعد من ، أبرز ساسة الإصلاح المؤسسي والاقتصادي والاجتماعي في الدولة العثمانية . بول دومون ، المصدر السابق ، ص ٦٩-٧٠ .

٣٤. عالي باشا (١٨١٥-١٨٧١) : ولد في اسطنبول ، ودرس العلوم والآداب العربية والتركية وأتقن اللغتين الفرنسية والانكليزية . عين موظفا في دوائر الدولة ، ثم أصبح مستشارا في وزارة الخارجية فسفيرا في لندن . وشغل منصب الصدر الأعظم ثلاث مرات ، ووزارة الخارجية ست مرات . ومنذ العام ١٨٥٢ أصبح أحد

الأعضاء البارزين في المجلس العالي للتنظيمات . بول دومون ، المصدر السابق ، ص٦٨-٦٩ .

٣٥. مصطفى فاضل (١٨٢٩-١٨٧٥) أخو الخديوي إسماعيل حاكم مصر ١٨٦٣-١٨٧٩ ، وكان الوريث الشرعي له . تولى مناصب إدارية مهمة في الدولة العثمانية ، حتى صدور فرمان الوراثة في السابع والعشرين من أيار ١٨٦٦ الذي نص على انتقال الحكم في مصر من الأب الى الابن فحرم مصطفى فاضل من حقه في حكم مصر ، فباع أملاكه في مصر وسافر الى باريس وظل ناقما على السلطان عبد العزيز (١٨٦١-١٨٧٦) . وبالتالي انضم الى صفوف المعارضين للحكومة العثمانية وانتقد نظام الحكم فيها ودعا الى الاصلاح وإقامة حكم دستوري ، وحصل العثمانيون الجدد على دعمه المالي . وحظي بشهرة خاصة اثر انتشار رسالته الموجهة الى السلطان عبد العزيز التي طبع منها خمسين ألف نسخة ، وزعت في مختلف أنحاء الدولة العثمانية ، شجب فيها الأمير المصري السلطان ودعا الى برنامج إصلاحى ، وكان ابرز بنودها التأكيد على إقامة نظام حكم دستوري . بول دومون ، المصدر السابق ، ص٧٦-٧٧

٣٦. البرت حوراني ، المصدر السابق ، ص٩٦ .

٣٧. بول دومون ، المصدر السابق ، ص٧٥ .

٣٨. رجب حراز ، المصدر السابق ، ص٤٥-٤٧ .

٣٩. ايلبير اورطايلى ، النظم الادارية في عهد التنظيمات الخيرية وما تلاه ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، اسطنبول ١٩٩٩ ، ص٣١٦-٣١٧ .

٤٠. شفيق جحا ، المصدر السابق ، ص ١١٩ .

٤١. أحمد عبد الرحيم مصطفى ، المصدر السابق ص٢٢٦ .

٤٢. محمد ناصر النفراوي ، التيارات الفكرية السياسية في السلطنة العثمانية ١٨٣٩-١٩١٨ ، صفاقس ٢٠٠١ ، ص١١١ .

٤٣. أحمد عبد الرحيم مصطفى ، المصدر السابق ، ص٢٢٨ . وقد كتبت الرسالة باللغة الفرنسية وترجمها نامق كمال ورفاقه الى اللغة التركية وطبع منها مايقارب خمسين ألف نسخة ووزعت على نطاق واسع . بول دومون ، المصدر السابق ، ص ٤٧ ؛ B.Lewis The Emergence of Modren Turkay , second Edition, London 1968, p.152:.

٤٤. رجب حراز المصدر السابق ، ص٤٧ .

٤٥. شفيق جحا ، المصدر السابق ، ص١٢٥ .

٤٦. رجب حراز ، المصدر السابق ص ٤٩ .

٤٧. البرت حوراني ، المصدر السابق ، ص ٩١ .

٤٨. لمزيد من المعلومات يراجع : Davison, Op.Cit,pp.311-357

٤٩. أعلن الدستور العثماني في الثالث والعشرين من كانون الأول ١٨٧٦ ، ونص على تمثيل جميع العثمانيين في برلمان عثماني ينتخب أعضاؤه من الشعب ، وإعلان المساواة بين الجميع ، كما ضمن الدستور الحقوق والحريات لجميع العثمانيين مسلمين وغير مسلمين على السواء وتضمن الدستور مائة وتسعة عشر مادة .

للإطلاع على مواد الدستور يراجع :

كنز الرغائب في منتخبات الجوائب ، جمع وتحقيق سليم فارس شدياق ، ج٦ ، مطبعة الجوائب " الأستانة " ١٢٩٤ هـ - ١٢٩٥ هـ ، ص ٥-٢٧ ، Davison, op.cit.p358-408

٥٠. محمد ناصر النفراوي ، المصدر السابق ، ص ١١١ . احمد عبد الرحيم مصطفى ، المصدر السابق ، ص ٢٣٢ .

٥١. بول دومون ، المصدر السابق ، ص ٤٧ .

٥٢. إبراهيم شناسي (١٨٢٦-١٨٧١) شاعر ومسرحي وصحفي ، عد من أبرز رواد الأدب التركي الحديث . تعلم الفرنسية في سن مبكرة ، وذهب الى فرنسا مرتين بقي في كل مرة من أربع الى خمس سنوات . تولى وظائف حكومية عدة ، وشارك في جريدة (ترجمان أحوال) عام ١٨٦٠ ، وأصدر جريدة (تطوير أفكار) عام ١٨٦٢ . ترجم عددا من الأعمال الفرنسية ، ونشر مجموعة مؤلفات ، منها (ديوان شناسي) و (ضروب الأمثال العثمانية) .

للمزيد يراجع : وحيد بهاء الدين ، أعلام من الأدب التركي ، بغداد ١٩٦٥ ، ص ١٦-٢٣ .

٥٣. بول دومون ، المصدر السابق ، ص ٤٧ .

٥٤. المصدر نفسه ، ص ٧٨ .

٥٥. وهي من أشهر النظريات الاجتماعية والسياسية لتكوين مجتمع سياسي عن طريق التعاقد . وللمزيد من المعلومات عنها يراجع : جان توشار وآخرون ، تاريخ الفكر السياسي ، ترجمة علي قصلو ، بيروت ١٩٨٧ .

٥٦. اورخان اوقاي ، المصدر السابق ، ص ٢٧٣ .

٥٧. فرانسوا جورجو ، المصدر السابق ، ص ١٦٤ .
- ٥٨ . B.Lewis ,op. Gt,p.196
- ٥٩ . بول دومون المصدر السابق ، ص ٧٥ .
- ٦٠ . Serif Mardin ,op Git, p. 297
- ٦١ . محمد نامق كمال ، أشهر الحوادث وأعظم الرجال ، " مجلة الهلال " ج ١٥ ، السنة ٥ ، ت ٢ ١٩٦٢ ص ١٦٤ .
- ٦٢ . محسن بهجت كوبرلي ، تاريخ الأدب التركي ، القاهرة ١٩٥١ ، ص ٤١١ .
- ٦٣ . B.Lewis, o p . Git p, 115 serif Mardin ,op . cit ,p. 273
- ٦٤ . حسين مجيب المصري ، تاريخ الأدب التركي ، القاهرة ١٩٥١ ، ص ٤١١ .
- ٦٥ . نامق كمال ، الوطن او سيلسترة ، إعداد كنعان آق يوز ، أنقرة ١٩٩٠ .
- ٦٦ . B.Lweis ,The Middle East and the west ,London , 1964 p.76
- ٦٧ . Kemal H. Karpat, trans formaint of the Ottoman . .
- state ,1789 -1908, "International Journal of Middles East Studies" Vol,3, Gveat Britian 1972.p.265
- Ibid. .٦٨
- ٦٩ . وحيد بهاء الدين ، نامق كمال شاعر الوطنية والحرية " مجلة المعرفة " العددان ١٣ و ١٤ ، دمشق ١٩٦١ ، ص ٢٥ .
- ٧٠ . محسن بهجت كوبرلي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .
- ٧١ . حسين حميد المصري ، المصدر السابق ، ص ٣٧٤-٣٧٥ .
- ٧٢ . B .Lewis , The Emergence of Modren Turkey, p.145
- Ibid.٧٣
- ٧٤ . حلمي ضياء اولكم ، تاريخ الفكر المعاصر في تركيا ، ج ١ ، اسطنبول ١٩٦٦ ، ص ٤٠ .
- ٧٥ . . Serif Mardin, op . Git, pp,308-309

٧٦. محمد ناصر النفراوي ، المصدر السابق ، ص٨٩ ، بول دومون ، المصدر السابق ، ص ٧٦ .

٧٧. بول دومون المصدر السابق ، ص٧٧.

٧٨. المصدر نفسه، ص ٧٨.

٧٩. Serif Mardin op.Cit,36-37

٨٠. Kemal H. kerat, Transformation of the Ottoman ,p264 .
اورخان اوقاي ، المصدر السابق ، ص٢٧٥ .

٨٢. المصدر نفسه، ص ٢٧٦.

٨٣. بيترحران ، الخلفية العثمانية لظهور الواقعية في الفكر العربي المعاصر ، العلاقات العربية التركية " تحرير عقيل محمد عقيل البربار ، ج ١ ليبيا ١٩٨٢ ، ص٢٢٦.

٨٤. نامق كمال ، انتباه ، مغامرات علي بيك ، اسطنبول ، ١٩٨٦ ،

ص ٦٨-٧٠ .

٨٥. محسن بهجت شاكر كوبرلي ، المصدر السابق ، ص١٧٥ .

٨٦. وحيد بهاء الدين ، المصدر السابق ، ص٢٧

٨٧. kemal H. karpal, Ottoman Population p. 258

٨٨. Serif Mardin, op.Cit, pp.216-342

المصادر والمراجع

الوثائق المنشورة

- كنز الرغائب في منتخبات الجوائب ، جمع وتحقيق سليم فارس شدياق ، ج ٦ مطبعة الجوائب ، الأستانة ، ١٢٩٤ هـ - ١٢٩٥ هـ .

الرسائل الجامعية

- إسماعيل نوري حميدي الدوري ، حركة التحديث في تركيا ١٩٢٣-١٩٣٨ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية - ابن رشد جامعة بغداد ، ١٩٨٩ .
- أميرة محمد كامل الخربوطي ، الدور السياسي للعسكريين في تركيا ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

- محمد عصفور سلمان ، حركة الإصلاح في الدولة العثمانية وأثرها في المشرق العربي ١٨٣٩ - ١٩٠٨ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٥ .

الكتب العربية :

- احمد عبد الرحيم مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ، القاهرة ، ١٩٩٢ .
- البرت حوراني ، الفكر العربي في عصر النهضة ، ١٧٩٨-١٩٣٩ ، ترجمة كريم عزقول ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٧٧ .
- بيتر حران ، الخلفية العثمانية لظهور الواقعية في الفكر العربي المعاصر ، العلاقات العربية التركية ، تحرير عقيل محمد عقيل البربار ، ج١ ، ليبيا ، ١٩٨٢ .
- جان توشار وآخرون ، تاريخ الفكر السياسي ، ترجمة علي قصلو ، بيروت ، ١٩٨٧ .
- جمال زكريا قاسم ، العلاقات العربية التركية من المنظورين العربي والتركي ، بيروت ، ١٩٩٣ .
- حسن أ. كوجر ، ولادة التعليم الحديث في تركيا وتطوره (١٧٧٣-١٩٢٣) ، اسطنبول ، دت .
- حسين مجيب المصري ، تاريخ الأدب التركي ، القاهرة ، ١٩٥١ .
- حكمت ديزدار أوغلو ، حياة نامق كمال ومؤلفاته الشعرية ، اسطنبول ، ١٩٦٨ .
- حلمي ضياء اولكم ، تاريخ الفكر المعاصر في تركيا ، ج١ ، اسطنبول ١٩٦٦ .
- الدولة العثمانية ، تاريخ وحضارة ، إشراف أكمل الدين إحسان أوغلي ، ترجمة صالح سعداوي ، ج١ ، استانبول ، ١٩٩٩ .
- رجب حراز ، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ، ١٨٤٠-١٩٠٩ ، القاهرة ، ١٩٧٠ .
- ز. ي . هرشلاغ ، مدخل إلى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الأوسط ، ترجمة مصطفى الحسني ، بيروت ، ١٩٧٣ .
- فيروز احمد ، صنع تركيا الحديثة ، ترجمة سليم داود الواسطي وحمد حميد الدوري ، بغداد ، ٢٠٠٠ .
- فيليب دي طرازي ، تاريخ الصحافة العربية ، أربعة أجزاء ، بيروت ، 1913 .
- محسن بهجت كوبرلي ، تاريخ الأدب التركي ، القاهرة ، ١٩٥١ .
- محمد ناصر النفرابي ، التيارات الفكرية السياسية في السلطنة العثمانية ١٨٣٩-١٩١٨ ، صفاقس ، ٢٠٠١ .
- نامق كمال ، انتباه ، مغامرات علي بيك ، اسطنبول ، ١٩٨٦ .
- نامق كمال ، الوطن أو سيلسترة ، إعداد كنعان آق يوز ، أنقرة ، ١٩٩٠ .
- وحيد بهاء الدين ، أعلام من الأدب التركي ، بغداد ، ١٩٦٥ .

الكتب الأجنبية .

- B. Lewis, The Emergence of Modren Turkey, second Edition, London, 1968 .
- B. Lewis The Middle East and the west, London, 1964 .
- Roderic H. Davison, Reform in the Ottoman Empire 1856-1876, New Jersey, 1943 .
- Serif Mardin, The Genesis of young Ottoman Thought , New York 1985 .
- S.J. Shaw and E.K. Shaw, History of the Ottoman Empire and Modern Turkey of the , Vol,II, New York, 1977 .

الدوريات باللغة العربية

- إبراهيم خليل العلاف ، الجذور التاريخية للعلمانية في تركيا المعاصرة ، مجلة الشؤون الاجتماعية ، العدد ٦٠ ، قطر ، شتاء ١٩٩٨ .
- شفيق جحا ، التنظيمات أو حركة الإصلاح في الإمبراطورية العثمانية ١٨٥٦- ١٨٧٦ مجلة الأبحاث لسنة ١٨ ، ج ٢ ، بيروت ، حزيران ١٩٦٥ .
- محمد نامق كمال ، أشهر الحوادث وأعظم الرجال "، مجلة الهلال ، ج ١٥ ، السنة ٥ ، تشرين الثاني ١٩٦٢ .
- هدايت كمال بدري ، الأدب التركي في فترة التنظيمات ، ١٨٦٠-١٨٩٦ ، مجلة آفاق عربية ، العدد الرابع ، نيسان ١٩٨٦ .
- وحيد بهاء الدين ، نامق كمال شاعر الوطنية والحرية مجلة المعرفة ، العددان ١٣ و ١٤ ، دمشق ١٩٦١ .

الدوريات باللغة الانكليزية

- Kamal H. Karpat, Ottoman Population Records and the census of 1881-1882 " International Journal of Middle East studies " Vol 9- Great Britain , August 1970 .
- Kamal H. Karpat , Trans formaint of the Ottoman state, 1789-1908 " International Journal of Middle East studies " Vol,3, Great Britain ,1972 .

